قـراءة فـي القيمـة التربويَّـة للجغرافيـا وأسـاليب تدريسـها فـي المؤسسـات التعليميَّـة السـوريَّة

أ.د. فاتنة ياسين الشعال
عضو هيئة تدريسية في كلية الآدب والعلوم الإنسانية
جامعة دمشق

A reading of the educational geographic value and its teaching methods in the Syrian educational institutions

Dr. Fatina Al Shaal
A faculty Member at the Faculty of Arts and Humanites, Damascus University

E-mail:fatina.shaal@hotmail.com

1- المقدمة :

تهدف التربية إلى تكوين شخصيَّة المُتعلِّم وتعزيزها بطريقة تربويَّة علميَّة تستند إلى المنطق والتفكير السليم، وذلك من خلال تزويده أثناء مراحل تعلُّمه بالعديد من الخبرات والمهارات التي تمكِّنه من النجاح في حياته العلميَّة والعمليَّة، ومواجهة تحدِّيات المستقبل ومشكلاته.

وبناء على ذلك لم يعد مفهوم التربية في العصر الحديث يقتصر على تزويد المتعلِّم بالمعلومات والمعارف والحقائق النظريَّة فقط، بل أصبح يسعى إلى إيجاد المتعلِّم الذي يستطيع أن يتعايش مع عصر التكنولوجيا والتقنيَّات الحديثة، ويتكيَّف مع معطياته ليصبح فرداً إيجابيَّاً فعَّالاً في مجتمعه.

ومن أجل تحقيق المفهوم الصحيح للتربيَّة لا بُدَّ للمؤسسات التعليمية الخاصَّة بكافة المراحل التعليميَّة من توظيف وسائل التكنولوجيا والتقنيات الحديثة لخدمة العمليَّة التعليمية، ممَّا يعني ذلك ازدياد أهميَّة ودور هذه الوسائل والتقنيَّات من أجهزة وأدوات واستراتيجيَّات تدخل في مضمار التعليم كنتيجة حتميَّة للتطوُّر التكنولوجي الذي يشهده العالم في الوقت الحاضر، والتي تؤدِّي في النهاية إلى تطوُّر الواقع التربوي وزيادة في مردود العمليَّة التربويَّة، وتطوُّر دور المعلم على نحو يحقِّق أهداف التربية الحديثة، في جعل دوره غير مقتصر على نقل المعلومة فقط وإنَّما لا بد أن يصبح مُلمَّاً ومُدركاً لماهيَّة وسائل وأدوات التكنولوجيا والتقنيَّات مُتابعاً لتطوراتها، ومندفعاً بذات الوقت إلى تطوير ذاته من خلالها، وهذا ما بدأت بعض المؤسسات التربوية في الدولة السوريَّة تعمل عليه، وذلك من خلال إعداد المعلمين وتدريبهم على فهم تغيُّرات ومتطلَّبات العصر الراهن[1].

(1) العنزي، عبيد، صعوبات استخدام التقنيات التعليمية في تدريس الجغرافيا من وجهة نظر معلمي ومشرفي المرحلة المتوسطة في السعودية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م، ص١١-١٣، بتصرُّف.

2- مشكلة البحث :

على الرغم من دخول العالم بأكمله إلى عصر التكنولوجيا والتقنيَّات التي نواكب تطوراته يوماً بعد يوم نجد أنَّ المؤسسات التعليمية في كثير من الدول خاصَّة في الدولة السورية لم تأخذ بعد خطوات جادة في توظيف هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة في مناهجها وطرق تدريسها، وهو ما أدَّى إلى تراجع كفاءة العملية التعليمية للمناهج عامَّة ومقرر الجغرافيا خاصَّة حيث ما يزال يُعتمد على الأساليب التقليدية في تدريسها، لذلك لا بُد من تحقيق نقلة نوعيَّة في تعليمها من مستوى التلقين وحفظ المعلومات إلى مستوى يكسب المتعلمين المهارة والقدرة على التفكير بطريقة علمية تتميز بالإبداع في عصر تسوده مفاهيم تقنية حديثة.

ومن هنا تتمحور مشكلة البحث حول الإجابة عن الأسئلة التالية:

- هل يمكن لمتعلم الجغرافيا في هذا العصر في ظلِّ الصيحات الداعية إلى تطوير المنهاج التربوي؛ أن يواكب مستجدات العصر؟ وهل الكتب المدرسية الحالية يمكن لها تؤدي هذه الوظيفة؟
- هل الطرق الكلاسيكية التقليديَّة أم الطرق الحديثة (نظم المعلومات الجغرافيا، الاستشعار عن بعد) هي التي تُهَيمِن على العملية التعليمية - التعلمية للجغرافية؟

3- منهج البحث :

تمَّ الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لما يمتاز به من قدرة على توفير المعلومات والحقائق عن المشكلة وتفسيرها والوقوف على دلالاتها، ومن ثُمَّ اقتراح الحلول المناسبة لها في ضوء ما توصَّلت إليه نتائج البحث.

4- أهداف البحث :

4 - 1 - التركيز على تدريس الجغرافيا كمادة أساسيَّة ومهمَّة، تُمثِّل إحدى الآليات التربويَّة الوظيفيَّة لإعداد وتأهيل طالب متعلِّم واع بقضايا مجتمعه، ومالك لكفايات تؤهله للاندماج فيه.

4 - 2 - تسليط الضوء على أهميَّة الوظيفة التربوية للجغرافية المدرسية.

5- الجغرافيا تعريفها وتطورها وفروعها:

تُعد الجغرافيا علم قديم عرفه الإنسان منذ نشأته الأولى على سطح الأرض، عندما بدأ بالتعرُّف على المكان الذي نشأ فيه وخصائصه من معالم سطح الأرض، المُناخ، التنوُّع الحيوي،..... بهدف التأمين على حياته ضدَّ المخاطر التي قد تواجهه[2].

ومهما تعدَّدت وتنوَّعت تعاريف الجغرافيا إلَّا أنَّه يوجد فيما بينها قواسم مشتركة إذ أنَّ جميعها تدور حول مفهوم واحد هو «المكان – place» الذي يعد محور تقوم عليه العلاقة بين البيئة والإنسان، كما وتتَّفق على أنَّ سطح الأرض هو ميدان الدراسة الجغرافيا، وأنَّ الظواهر التي تشغل هذا السطح هي بمثابة موضوعاتها، أمَّا الاختلاف فيما بينهما فيظهر من خلال درجة التركيز على ناحية من النواحي أو مظهر من المظاهر دون الأخرى.

ولعلَّ تعريف الجغرافيا بأنَّها: «علم وصف الأرض» هو من أقدم التعاريف وأكثرها شمولية، مستّمد من الترجمة الحرفيَّة لكلمة (جغرافية - Geography) المشتقة من الجذور الإغريقيَّة (Geo) بمعنى الأرض، و(Graphy) وتعني وصف، وبالتالي " وصف الأرض".

في حين تشمل الدراسات الجغرافيا وصف الظواهر الكونية والفلكية المختلفة كدراسة المجموعة الشمسية ومواقع النجوم والأجرام السماوية الأخرى، ووصف البلدان وأحوالها، إضافة لدراسة سطح الأرض وغلافها الجوي، ومختلف الظواهر البشرية والطبيعية، ومدى ارتباطها بالناس والعلاقات المتبادلة بينهما.

تأتي أهميَّة الجغرافيا بأنَّها تساعد على استبصار الحقائق وإدراك صور البيئة بجوانبها المتعددة ومستوياتها المختلفة مع التعمُّق في فهم العلاقات وتحليل الظواهر وربط الأسباب بالنتائج، إضافة إلى أنَّ تدريسها يفسح المجال لممارسة أنواع مختلفة من الأنشطة العملية والتطبيقات، ممَّا يساعد ذلك على تحقيق إيجابيَّة للمتعلمين وإكسابهم الكثير من المهارات والخبرات.

وتنقسم الجغرافيا إلى قسمين رئيسين يتفرع عن كلٍّ منهما فروع جغرافية أخرى:

أ- جغرافية طبيعيَّة: تهتم بدراسة البيئة بما تحويه من ظاهرات طبيعيَّة وتوزعها المكاني وأسبابه، مستعينة في ذلك على بعض العلوم كالجيولوجيا والجيومورفولوجيا والمناخ .....،

(2) إسماعيل، أحمد، الجغرافيا العامة – موضوعات مختارة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٩٦م، ص٣، بتصرُّف.

وتنقسم إلى الفروع الأساسيَّة التالية: جغرافية السطح، جغرافية المُناخ، الجغرافيا الحيويَّة.

ب- جغرافيـة بشـرية: تهتـم بدراسـة المجتمعـات البشـرية وتوزُّعهـا الجغرافـي ومـدى تأثرهـا بالبيئـة واسـتغلالها سـواء أكان علـى شـكل مراكـز عمرانيَّـة (مـدن، قـرى) أو شـبكات نقـل ومواصلات، الـري، النشـاط الاقتصادي، والتنظيـم السياسـي لـلأرض علـى شـكل دولـة، وتسـتمد هـذه الجغرافيـا معلوماتهـا مـن فـروع العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة كعلـم الاجتمـاع والتاريخ....إلـخ، هـذا وتنقسـم أهـم فـروع الجغرافيـا البشـريَّة إلـى:

الجغرافيا الاجتماعيَّة: وتضم جغرافية السكان – جغرافية المدن – جغرافية الريف.

الجغرافيـا الاقتصاديَّـة: وتضـم: جغرافيَّـة الزراعـة – جغرافيَّـة الصناعـة – جغرافيَّـة الطاقـة – جغرافيَّـة النقـل والمواصـلات – جغرافيَّـة التجـارة الدوليَّـة – جغرافيـة السـياحة.

الجغرافيا السياسيَّة.

والجغرافيـا علـم مركَّـب فـي غايـة التعقيـد يأخـذ مـن مختلـف العلـوم الأخرى، ومـن ثُـمّ يربطهـا بالأرض والنشـاط البشـري، فهـو مثـلاً يأخـذ مـن علـم الجيولوجيـا مـا يفيـد فـي دراسـة علـم أشـكال الأرض (الجيومورفولوجيـا)، ومـن علـم النبـات مـا يفيـد الجغرافيـا النباتيَّة.....وهكـذا، وتُعـرف هـذه

الفروع من الجغرافيا باسم الجغرافيا الأصوليَّة سواء أكانت فروعاً للجغرافية الطبيعيَّة أو البشريَّة.

أمَّـا إذا طُبِّقـت علـى منطقـة أو إقليـم مـا فإنَّهـا تُعـرف باسـم «الجغرافيـا الإقليميَّـة» وذلـك بدراسـة كل عناصـر الجغرافيـا الطبيعيَّـة والبشـريَّة فـي منطقـة متجانسـة تُعـرف باسـم الإقليم[3].

تطوُّر الفكر الجغرافي منذ العصور القديمة حتَّى العصر الحالي:

يعـود علـم الجغرافيـا بنشـأته إلـى القـدم، حيـث نشـأ مـع الحضـارات القديمـة (الفرعونيَّـة، البابليَّـة، اليونانيَّـة،....) التـي عـدَّت الجغرافيـا بأنَّهـا علـم يـدرس سـطح الأرض، ويقـوم بوصـف المظاهـر المنتشـرة عليـه، ويتركَّـز اهتمامـه بالموقـع والعلاقـات المتبادلـة بيـن مختلـف الأماكـن علـى سـطح الأرض باعتبارهـا جميعـاً أجـزاء مـن كل.

(3) إسماعيل، أحمد، الجغرافيا العامة – موضوعات مختارة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٩٦م، ص١٣، بتصرُّف.

ومـن أهـم جغرافيـين الحضـارات القديمـة إراتوسـتين، وفارنيـوس، بطليمـوس ومـن قبلـه سـطرابون (58 ق.م – 25م): الـذي عـرَّف الجغرافيـا بأنَّهـا: "دراسـة الأقاليـم المختلفـة (Chorology)" حيـث أنَّ كلمـة (Chorology) هـي يونانيَّـة مشـتقة مـن (Chore) والتـي تعنـي الرقعـة الواضحـة المعالـم والحـدود مـن الأرض – أي إقليـم صغيـر[4].

وفـي الحضـارة العربيَّـة ظهـرت أسـماء عديـدة مـن الجغرافييـن المسـلمين الذيـن تركـوا تراثـاً جغرافيَّـاً كبيـر أمثـال الإدريسـي، ابـن حوقـل، الاصطخـري، المقدسـي، ابـن خلـدون، ابـن بطوطة.....وغيرهـم.

وفـي العصـور الوسـطى: تأثـر الفكـر الجغرافـي فـي أوروبـا بالأفـكار الدينيَّـة المسـيحيَّة، فـي حيـن عـرف تطـوراً مهمَّـاً فـي العالـم الإسـلامي، حيـثُ تطـوَّرت الجغرافيـا الفلكيَّـة والرياضيَّـة، جغرافيـة الوصـف والتفسـير، حيـث اهتـم العـرب والمسـلمون ببعـض الظواهـر الطبيعيَّـة وعلاقـة الإنسـان بالمجـال الجغرافـي.

وفـي هـذا العصـر تألَّقـت مدرسـة البلخـي التـي ظهـرت فيهـا السلسـلة الجغرافيـا «المسـالك والممالـك» والتـي تقابـل فـي الوقـت الحاضـر مـا يُعـرف باسـم «الجغرافيـا الإقليميَّـة»

فـي عصـر النهضـة والأنـوار: تأثـر الفكـر الجغرافـي بالاكتشـافات الجغرافيـا، والتوسـعات الاسـتعماريَّة التـي رافقتهـا والبعثـات العلميَّـة، وسـاهم ذلـك فـي تراكـم المعرفـة الجغرافيـا وتطـورات الكارتوغرافيـا.

المرحلـة المعاصـرة: مرحلـة راقيـة جـداً فـي تطـور الفكـر الجغرافـي، حيـث سـاهم مجموعـة مـن الحقـول المعرفيَّـة الأخـرى فـي التأثيـر علـى اهتمامـات الدراسـات الجغرافيَّـة (التاريـخ، البيولوجيـا، الاقتصـاد.....) خاصَّـة فـي النصـف الثانـي مـن القـرن التاسـع عشـر الميـلادي علـى يـد بعـض المفكريـن الألمـان أمثـال: كارل ريتر Karl Ritter -1779- 1859 م، الكسندر همبولت Alexander Humboltd 1769 – 1859م"، كمـا بـرزت المدرسـة الفرنسـية فـي شـخص رائدهـا " فيـدال دي لابـلاش – Vidal de la Blache الـذي يعـد مؤسـس الجغرافيـا الحديثـة وأحـد روَّاد المدرسـة الإمكانيَّـة أو الاحتماليَّـة التـي تـرى أنَّ الإنسـان ليـس خاضعـاً تمامـاً لسـيطرة البيئـة، لكنَّـه يُعـدِّل مـن ظروفهـا بحيـث تُلائمـه، مختلفـاً بذلـك مـع الألمانـي " راتـزل – Ratzel " أحـد رواد المدرسـة الحتميـة البيئيَّـة – أثـر البيئـة علـى الإنسـان- ومؤسـس الجغرافيـا البشـريَّة، وبذلـك بـدأت بـوادر الجغرافيـا التـي تهتـم بالمجـال وتفاعـل الإنسـان مـع الظواهـر الطبيعيَّـة.

(4) خير، صفوح، الجغرافيا موضوعها ومنهاجها وأهدافها، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 2000م، ص42.

وفي مطلع القرن التاسع عشر دخلت الجغرافيا مرحلة جديدة أطلق عليها «هارتسهورن" هي الجغرافيا الكلاسيكيَّة التي تمثِّل بداية الجغرافيا الحديثة بمفهومها العلمي الجديد الذي يعتمد على التحليل والربط والتعليل.

الفكر الجغرافي في القرن (20م): تمثَّل في ظهور مدارس جغرافيَّة وبروز تيارات متأثرة بالتطور الذي عرفته حقول معرفيَّة (الاقتصاد، علم الاجتماع، علم النفس.....) من جهة، وبالمذاهب الفكريَّة والإيديولوجيَّة من جهة أخرى[5].

6-آليَّة تدريس مقرر الجغرافيا:

تعد الجغرافيا من التخصُّصات العلميَّة التي لا تزال تتطوَّر بشكل مستمر يواكب التطورات العلميَّة والتكنولوجيا التي انعكست بآثارها على وسائل البحث وتقنيات التحليل والتي أسهمت في نقل الجغرافيا من مجال الوصف إلى مجال التطبيق[6] لتلامس الواقع المعاش، حيثُ أنَّ الجغرافيا الحقيقية لا يمكن فهمها سوى خارج القاعة الدرسيَّة، وأنَّ معرفة البيئة المحيطة تجعل تدريسها مقنعة بشكل كبير وأكثر حيوية.

وقد بقيت عمليَّة تدريس منهاج مقرر الجغرافيا سواء في المدارس أو الجامعات السورية منذ زمن طويل تقتصر على حفظ المُدرِّس للمعلومات الجغرافيا وتلقينها للمتعلِّم داخل قاعة التدريس دون امتلاكه لمهارة التحليل أو التفسير لها، ممَّا شكل ذلك ضغطاً عبئاً دراسياً كبيراً على المتعلِّم جعله غير متمكِّن من حفظ تلك المعلومات، فضلاً عن اقتصاره في دراسة المقرر وكسب معلوماته على مصدر وحيد وهو الكتاب المدرسي أو الجامعي وذلك بحسب مرحلته التعليميَّة، والذي غالباً ما ينضوي على مفاهيم وعناوين لمواضيع سطحيَّة بسيطة متكررة ومنسوخة عن كتب سابقة له بتاريخ تأليفها، وبالتالي عدم احتوائها على مفاهيم خاضعة للتحديث والتطوير بشكلٍ دوري ومستمر، ممَّا ساعد ذلك كله على جعل مقرر الجغرافيا مادة جافَّة ومهمَّشة، يشعُر المتعلِّم اتجاهها بالملل والنفور منها، وعدم الاهتمام بها، ويعاني صعوبة في فهمها وحفظها نظراً لاحتوائها على أرقام ومعلومات كثيرة، ممَّا انعكس ذلك سلباً على مستوى تحصيله الدراسي.

(5) بلفيقه، عبد المولى، الجغرافيا بين البحث عن هويتها الإبستمولوجيَّة ووظيفتها التربويَّة، كليَّة علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص٤، بتصرف.

(6) مصلح، نسيم نصر، تقويم منهاج الجغرافيا في المرحلة الأساسية العليا في ضوء بعض الاتجاهات العالمية، كليَّة التربية – الجامعة الإسلاميَّة، غزة، ٢٠١٠م، ص٢٥، بتصرُّف.

وإضافة إلى ما سبق فإنَّ من أهم الأسباب التي جعلت المُتعلِّم كارهاً للجغرافية، غير فاهمٍ لها ومُدركٍ لأهميَّتها في حياته العلميَّة والعمليَّة، هو ما يلجأ إليه نظام التربيَّة في المدارس السوريَّة من الاعتماد في تدريس منهاج المواد الاجتماعيَّة كاملة (الجغرافيا – التاريخ – القوميَّة) على معلِّم واحد فقط قد يكون مؤهلاً ومتخصِّصاً في مادة التاريخ أو الجغرافيا أو التربية القوميَّة، أي غياب المعلِّم المختص لكل مادة، وكذلك الحال بالنسبة للجامعات التي تعاني أيضاً من نقص الكوادر التعليميَّة المتخصِّصة.

وفي الوقت الراهن مع دخول عصر التكنولوجيا والتقنيات الحديثة فإنَّ المتتبِّع لتطوُّر المناهج السوريَّة المختلفة يجد أنَّها قد سارعت في محاولة لاستيعاب التكنولوجيا واستغلالها في تطويرها، وفي عمليَّة تعلُّمها وتعليمها، إلَّا أنَّ مخططي مناهج المواد الاجتماعيّة (الجغرافيا – التاريخ) ومطوِّريها لا يزالون متمسكين بالأساليب والطرائق والوسائل التقليديَّة القديمة التي اعتادوا عليها، كما هو الحال في تدريس الجغرافيا سواء في المدارس أو الجامعة، ممَّا ساهم ذلك في ظهور اتجاهات وآراء سلبيَّة اتجاهها على أنَّها علم معرفي وصفي ومقرر دراسي نظري بحت يعتمد على الإلقاء والتلقي السلبي للمُتعلِّمين، وتقتصر مهمَّته على تعريفهم بيئتهم التي يعيشون فيها.

في حين تسعى الجغرافيا كمقرر دراسي إلى تعليم المُتعلِّم دراسة المجال الأرضي، وإفهامه قواعد تنظيم المجتمعات البشريَّة داخل المجال، والمشكلات التي قد تحدث نتيجة لاستعمالهم له،

ومن ثُمَّ استخدام التفكير بمنطق جغرافي للتحليل والتفسير المرتبط بالظواهر المجاليَّة، فضلاً عن قيامها بتدريب المتعلمين على إعطاء حلول ومقترحات للمشاكل حول استخدام أو إعداد المجال بشكل يتناسب مع إمكانياتهم وقدراتهم وطاقتهم، مثال ذلك تحديد الاستعمال الأمثل للتربة في منطقة ما.

كما تسعى لأن تُكرِّس لدى المُتعلِّم مفهوم التوطين – التموقع داخل المجال، وذلك من خلال تزويده وتعريفه بالمرتكزات والمعالم الأساسيَّة كالإحداثيات الجغرافيَّة - خط الاستواء – القطبين – القارات – المحيطات – السلاسل الجبلية والأنهار الكبرى – الدول والمدن والمراكز الكبرى..... وغيرها من المعالم التي تساعده على المعرفة الدقيقة لموقع الحدث اعتماداً على إحداثياته وتوزيعه وعلاقته مع باقي المكونات[7]، إضافة إلى تعليمه القدرة على وصف الواقع بدقة من خلال استخدام الأدوات الجغرافيا الخاصَّة بها (الخرائط، الصور)[8].

---

(7) بلفيقه، عبد المولى، الجغرافيا بين البحث عن هويتها الإبستمولوجيَّة ووظيفتها التربويَّة، كليَّة علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص١٢ - ١٣، بتصرف.

(8) أبو سالم، طلعت نافذ، أثر برنامج مقترح في تدريس الجغرافيا على تنمية مهارة قراءة الخريطة والذكاء المكاني لدى طلبة الصف الثامن الأساسي، رسالة ماجستير، كليَّة التربية – الجامعة الإسلاميَّة، غزَّة، ٢٠١٧م، ص٢١.

ولكي يصل المُتعلم إلى الدراسة الحقيقية للجغرافية لا بد من توافر عدة شروط يجب أن يحققها، من أهمها:

1. القدرة على تفسير الصور الجويَّة والمرئيات الفضائيَّة، إضافة إلى قراءة الخرائط بمختلف أنواعها (الطبوغرافيَة – الجيولوجيَّة – الجيومورفولوجيَّة – الترب.....الخ)، وكذلك تحليل وتفسير البيانات بأنواعها المختلفة (الهيدرولوجيَّة – الديموغرافيَّة – المُناخيَّة – الاقتصاديَّة.....الخ)، وذلك من خلال تعلُّم المُتعلِّم الملاحظة والتفكير الاستقرائي وجمع المعلومات وتنظيمها ومن ثُمَّ تحليلها وتفسيرها وربطها بالأفكار والنظريات.
2. ممارسة الأنشطة المختلفة التي تساعد في الدراسة الجغرافيا كرحلات الاستكشاف (الكشافة)، والأبحاث الميدانيَّة بالاستعانة بكافَّة الأجهزة الجغرافيا كالبوصلة، والخريطة، جهاز تحديد المواقع (GPS).....
3. إتقان استخدام الوسائل التعليميَّة والتقنيات الحديثة في دراسة مادة الجغرافيا كاستخدام الحاسوب والإنترنت والبرامج الجغرافيا كنظم المعلومات الجغرافيا (GIS) والاستشعار عن بعد...، التي تنبثق أهميَّتها من أثرها في تعزيز التعلُّم الإيجابي من حيث تسهيل الصعوبات التي تواجه المُتعلّمين في تعلُّم المفاهيم والمصطلحات والحقائق، ويختصر الوقت والجهد ويساعد استخدامها في تقريب الكثير من المظاهر إلى أرض الواقع كما في ثوران البراكين، والزلازل[9].

وبالمقابل يجب على معلِّمي الجغرافيا تغيير الآليّة النمطيَّة التقليديَّة الجاهزة التي يعمدون إليها ويستعينون بها في تدريسهم وشرحهم للمقرر (الخريطة، مجسم الكرة الأرضية،...) إلى استخدام التقنيَّات الحديثة والبرامج الجغرافيا الحديثة كنظم الاستشعار عن بعد، والاستشعار عن بعد..... أو ابتكار وسائل تعليمية جديدة تُساعدهم في تدريس وتفهيم المقرر فهماً جيِّداً راسخاً، بأن يقوم باستثمار طاقة المُتعلِّم من خلال صناعة وسيلة تعليمية عن طريق ربط المادة العلمية التي يدرسها المُتعلِّم بحياته وبيئته المحلية عبر تحويلها إلى واقع ملموس يصنعه بيده ويقدِّر قيمته (أشكال تعليمية كهربائية وميكانيكية ووسائل من تدوير النفايات المختلفة، مجسمات متعددة عن الدورة المائية أو التضاريس أو مجسم مصغر لقرية، عمل عروض تقديمة غنية بوسائط صوتية وفيديوهات تساعد على شرح الظاهر وفهمها....) ممَّا يؤدّي ذلك إلى خروجه من الإطار النظري للمقرر، وتحويله إلى جوانب عمليَّة مبدعة ممَّا يساعد في تثبيت المعلومة بسبب ربط الجانب النظري بالتطبيق العملي، إضافة إلى ظهور علاقة

(9) أبو سالم، طلعت نافذ، أثر برنامج مقترح في تدريس الجغرافيا على تنمية مهارة قراءة الخريطة والذكاء المكاني لدى طلبة الصف الثامن الأساسي، رسالة ماجستير، كليَّة التربية – الجامعة الإسلاميَّة، غزَّة، ٢٠١٧م، ص١٦، بتصرُّف.

ربط ما بين المتعلم وبيئته أي الوصول إلى تطبيق فعلي وحقيقي لجوهر هدف وموضوع الجغرافيا.

وفيما بعد سعت الجغرافيا إلى إثبات ذاتها كإحدى العلوم الرئيسة والأساسيَّة تأخذ موقع بيني بين العلوم الاجتماعيَّة (التاريخ، علم الاجتماع، الانتربولوجيا.....) والطبيعيَّة (علوم الأرض، المُناخ، علم التربة.....) حيث تُمثِّل حلقة وصل ما بين الظاهرات الطبيعيَّة والظاهرات البشريَّة والعلاقات القائمة بينهما، وذلك من خلال الموضوعات المتنوعة التي تتناولها وتُشكِّل محور دراستها وتتقاطع معها في "المجال": باعتباره مكاناً لأنشطة الإنسان كمستهلك ومنتج له، وقد كان الجغرافي الألماني الشهير "البرخت بنك - Albrecht Penk" من أوائل الذين أشاروا إلى ذلك بقوله: ((إنَّ الجغرافيا عبارة عن جسر بين العلوم الطبيعيَّة والعلوم الاجتماعيَّة))[10].

7-الأساليب والأدوات المستخدمة في تعليم الجغرافيا:

تعد الجغرافيا مادة دراسية ذات معطيات متجدِّدة باستمرار تواكب التغيُّرات التي يشهدها العالم بأكمله، ممَّا يجعل المتعلِّم لها متواجد في قلب التحولات التي يعرفها مجتمعه، وهذا ما يجعل منها مادة ذات خصوصيَّة ووظيفة تربوية تستدعي اعتماد طرائق تدريسيَّة حديثة وفاعلة تثير وتحفِّز المتعلمين لها، حيثُ أصبح محو أميَّة التكنولوجيا هدفاً رئيساً يُسعى إليه في وقت تراجع فيه

الاهتمام بالوسائل المطبوعة (كتب ، مجلَّات علميَّة،.....) لحساب الوسائل الرقميَّة والتقنيَّات الحديثة والتكنولوجيا التي لها أهميَّتها الكبيرة في زيادة قيمة التعليم الجغرافي، إضافة إلى مساعدتها المتعلمين على اكتساب المعارف والمعلومات الحديثة والمتجددة بسهولة، وإمكانيَّة اطلاعهم على أبحاث علميَّة بلغات متعددة تتعلَّق بموضوع محدَّد يقوم المُتعلِّم بالبحث والكتابة عنه.

إلَّا أنَّ تلك التقنيات والوسائل الحديثة على الرغم من أهميَّتها الكبيرة لم تستخدم في العمليَّة التعليميَّة في سواء من قبل المعلِّمين في المدارس أو الأساتذة في الجامعات السوريَّة وذلك بسبب ضعفهم في امتلاك المهارة والمعرفة في طريقة استخدامها من جهة، إضافة إلى نقص التجهيزات الواجب توافرها في القاعات الدرسيَّة من جهة أخرى.

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ الأساليب والوسائل التعليميَّة التي تستخدم في تدريس مقرر الجغرافيا في المؤسسات التعليميَّة السوريَّة تتأثر بمدى قدرة ومهارة المُتعلِّم ومستوى ذكائه، حيثُ إنَّ المتعلِّم ذا مستوى التحصيل الدراسي العالي يمكنه فهم واستيعاب الموضوع الجغرافي أيَّاً كان محوره، وبالتالي قدرته على

(10) خير، صفوح، الجغرافيا موضوعها ومنهاجها وأهدافها، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 2000م، ص32.

مـزج الحقائـق والمعلومـات وفهـم العلاقـات الجغرافيـا، فـي حيـن أنَّ المتعلِّـم ذو القـدرة التحصيليَّـة المنخفضـة لا يمكنـه فهـم وتفسـير الموضـوع الجغرافـي المـدروس إنَّمـا تقتصـر قدرتـه علـى الوصـف فقـط.

وانطلاقـاً ممَّـا سـبق يمكـن القـول بأنَّـه يجـب علـى المسـؤولين المختصيـن بمنهـاج مقـرر الجغرافيـا فـي الدولـة السـورية متابعـة ومراجعـة دائمـة ومسـتمرة لمحتويـات كتـب الجغرافيـا التـي تُـدرَّس بهـدف تقويمهـا، ومواكبـة التحديـث والتطويـر وتفسـير مـا هـو جديـد ومـا لـم يُفسَّـر مـن قبـل، والكشـف عـن نقـاط القـوة والضعـف فيـه وذلـك لمعالجـة الضعـف وتدعيـم وتعزيـز نقـاط القـوة خاصـة وأنَّ منهـاج الجغرافيـا غيـر ثابـت وإنَّمـا يتغيَّـر ويتطـوَّر بيـن فتـرة وأخـرى فمثـلاً العمليـات التـي تحـدث فـي باطـن الأرض وعلـى سـطحها، وكذلـك حركـة الأجـرام السـماوية والنجـوم فـي الكـون لا تتوقـف....، ممَّـا يـؤدي ذلـك كلـه إلـى دعـم وإثـراء محتـوى الجغرافيـا بـكل فروعهـا ومجالاتهـا، والوصـول بالمُتعلِّـم إلـى الإبـداع والتطـوُّر، متسلِّحـاً بأكبـر قـدر مـن المعرفـة والمهـارة اللازمـة لمواجهـة ومواكبـة الحيـاة، وممارسـة دوره ليصبـح عضـواً فاعـلاً فـي مجتمعـه وفـي حياتـه الخاصَّـة.

كمـا وأنَّ دراسـة الجغرافيـا لـم تعـد فـي الوقـت الحاضـر ذلـك العلـم الـذي يهتـم بوصـف الظواهـر وصفـاً سـطحياً بعيـداً عـن الواقـع، بـل أصبحـت تُمثِّـل ذلـك التخصُّـص الـذي يتماشـى مـع التطـوُّر العلمـي الحديـث المعتمـد علـى التحليـل والقيـاس والربـط واسـتخدام النمـاذج والنظريـات الحديثـة، أي أنَّهـا أصبحـت تسـير فـي الاتجـاه التطبيقـي الـذي يعـرف اليـوم بالجغرافيـا الكميـة والجغرافيـا التطبيقيـة....

أمَّـا فـي مدارسـنا وجامعاتنـا السـورية فمنهـاج الجغرافيـا يُـدرَّس فـي المـدارس مقسَّـماً إلـى جميـع مجـالات الجغرافيـا حسـب كل صـف ومرحلتـه العلميَّـة، وصـولاً إلـى المرحلـة الجامعيَّـة التـي تُقسَّـم فيهـا أيضـاً وتتشـعب إلـى أربـع شـعب رئيسـة (طبيعيَّـة – بشـريَّة – كارتوغرافيـا – إقليميَّـة) وهـذا مـا يُعتبـر مـن الأخطـاء التـي وقـع فيهـا النظـام التعليمـي، فالجغرافيـا كعلـم يجـب أن يبقـى واحـداً دون أي تقسـيم أو تشـعيب لـه[11].

8-الجغرافيا وعلاقتها بالجغرافيا التربوية (تعلُّم الجغرافيا):

يعيـش الإنسـان فـي إطـار بيئـي واضـح المعالـم بنظـام متكامـل يتميَّـز بالاسـتمرارية والاتـزان، ويتفاعـل فيـه مـع كافَّـة مكوناتـه بهـدف إشـباع حاجاتـه المختلفـة.

ومـع التزايـد السـكاني ومـا نجـم عنـه زيـادة اسـتغلال المـوارد وإنتـاج كميـات هائلـة مـن المخلفـات تفـوق قـدرة الأنظمـة البيئيـة علـى الاسـتيعاب ظهـرت المشـكلات البيئيـة، التـي كانـت معظمهـا عبـارة عـن مشـكلات جغرافيـة (مكانيـة) ترتبـط بالمـكان وتتغيـر مـع الزمـن، إضافـة إلـى أنَّهـا تتأثـر وتؤثـر فـي مختلـف مكونـات

(11) أبـو سـالم، طلعـت نافـذ، أثـر برنامـج مقتـرح فـي تدريـس الجغرافيـا علـى تنميـة مهـارة قـراءة الخريطـة والـذكاء المكانـي لـدى طلبـة الصـف الثامـن الأساسـي، رسـالة ماجسـتير، كليَّـة التربيـة – الجامعـة الإسـلاميَّة، غـزَّة، ٢٠١٧م، ص١٨، بتصـرُّف

النظـام البيئـي (Ecosystem) التـي تشـكِّل فـي معظمهـا عناصـر النظـام الجغرافـي (Geosystem) خاصَّـة الإنسـان الـذي يعـد أهـم هـذه العناصـر فـي كلا النظاميـن.

ويتمثَّـل محـور اهتمـام الجغرافيـا كمقـرر دراسـي فـي دراسـة العلاقـة بيـن الإنسـان وبيئتـه الجغرافيـا التـي يعيـش فيهـا وآثارهـا، لـذا لا بـد مـن ترسـيخ أهـداف التربيـة البيئيـة وذلـك مـن منطلـق أنَّ الجغرافيـا ميدانهـا البيئـة وأنَّ مناهجهـا تسـاعد فـي تقديـم الحلـول المناسـبة للكثيـر مـن المشـكلات المعاصـرة مـن خـلال تقديـم إطـار علمـي منهجـي لدراسـة هـذه المشـكلات علـى أسـاس أن الجغرافيـا أحـد أهـم العلـوم الديناميكيـة المتطـورة والتركيبيَّـة التـي تجمـع مـا بيـن العلـوم الطبيعيَّـة والعلـوم الإنسـانيَّة[12]،

وتهتـم كمقـرر دراسـي وتخصُّـص جامعـي بتدريـس الظواهـر الطبيعيـة والبشـرية والعلاقـات القائمـة بينهـا والمشـكلات التـي قـد تنشـأ عنهـا ضمـن وحـدة جغرافيـة معينـة للدولـة (الجغرافيـا الإقليميـة) أو الـدول أو الأقاليم المختلفـة، ويتـم التركيـز فـي مجـال تدريسـها علـى كيفيِّـة اسـتثمار المـوارد الطبيعيـة والمحافظـة عليهـا وعلـى الغـلاف الجـوي والعمـل علـى حـل المشـكلات البيئيـة ككل مـن خـلال التوعيـة العلميَّـة التـي يتضمَّنهـا محتـوى الجغرافيـا.

وبشـكلٍ عـام تتفـق الجغرافيـا سـواء كعلـم أو كمقـرر دراسـي فـي المـادة الخـام والعناصـر الأساسـية التـي يتعامـل معهـا كلّ مـن الجغرافـي المُحتـرف والمعلِّـم، إلَّا أنَّهمـا يختلفـان فـي الهـدف، وبالتالـي فـي محتـوى الجغرافيـا ووظيفتهـا التـي تلـزم كلٍّ منهمـا، كمـا يختلـف مسـتوى دراسـتها وتدريسـها باختـلاف المراحـل التعليميَّـة للمتعلميـن.

9-القيمة التربويَّة للجغرافية:

اعتبـرت الرابطـة الجغرافيَّـة الأمريكيـة أنَّ التربيـة الجغرافيَّـة أمـراً حيويَّـاً لعـلاج الجهـل فـي العالـم وإعطـاء الأجيـال المعرفـة والفهـم اللازميـن لإدارة مـوارد الأرض، ومـن المهـم أن يـدرك

الجغرافيـون أنَّ جميـع المشـاكل التـي تؤثِّـر علـى المجتمـع تقـع ضمـن الإطـار الجغرافـي[13]، وأنَّ حالـة الضيـاع التـي يعيشـونها فـي الوقـت الراهـن تعـزى إلـى افتقـار وعجـز الجغرافيـا فـي تحديـد واضـح لطبيعتهـا

(12) عبـد العـال، ريهـام، دور الرحـلات المعرفيـة عبـر الويـب (WEB QUEST) أثنـاء تدريـس الجغرافيـا فـي تنميـة وعـي طالبـات الصـف الأوَّل الثانـوي ببعـض المشـكلات البيئيَّـة العالميَّـة واتجاهاتهـن نحوهـا، المجلَّـة الأردنيَّـة فـي العلـوم التربويَّـة، المجلَّـد 11، العـدد 4، 2015م، ص483-481، بتصـرُّف.

(13) أبـو سـالم، طلعـت نافـذ، أثـر برنامـج مقتـرح فـي تدريـس الجغرافيـا علـى تنميـة مهـارة قـراءة الخريطـة والـذكاء المكانـي لـدى طلبـة الصـف الثامـن الأساسـي، رسـالة ماجسـتير، كليَّـة التربيـة – الجامعـة الإسـلاميَّة، غـزَّة، ٢٠١٧م، ص١٨، بتصـرُّف.

والموضوعات التي تتناولها، إضافة إلى غيابها عن المجال العملي والتطبيقي، ممَّا عزَّز ذلك الاتهامات الموجَّهة إليها بعجزها عن المشاركة في عمليَّات التنمية والتخطيط، وفي جعل المجتمع بكافة فئاته جاهلاً بأهميَّتها مقتصراً دورها على الناحية الثقافيَّة فقط، وبأنَّها مقرر دراسي أو تخصُّص جامعي لا ينظر إليه بعين الأهميَّة والاهتمام من قبل المجتمع من جهة والجغرافيون أنفسهم من جهة أخرى، ليغدو بذلك الجهل بالجغرافيا والمعرفة الجغرافيا عقبةً أمام فهم العالم الذي دخل اليوم بفعل ما يشهده من تطوُّر وتقدُّم تكنولوجي وتقني في عصر العولمة، لذلك فإنَّ

الإتقان الصحيح والفهم الجيد للجغرافية من قبل المتعلِّمين لها والمختصِّين بها سوف يجعلهم يدركون أهميَّتها والارتباطات والعلاقات فيما بينهم وبين الشعوب، وكذلك الأمكنة والثقافات والاقتصاديات الموجودة في أنحاء العالم خاصَّة في ظلِّ ما تشهده الساحة المحليَّة والعالميَّة من متغيِّرات ومستجدَّات ومشكلات بيئيَّة واقتصادية متعددة لها علاقة وطيدة بالبعد الجغرافي.

كما وأنَّ دراستها وتدريسَها بشكل علمي صحيح تتطلَّب من المُعلِّم والمُتعلِّم أن يتزوَّدا بمجموعة من التصوُّرات والآليَّات التي تجعل منها مادة حيويَّة وشيِّقة، تتطلَّب من حين إلى آخر مراجعة منهاج مقرر الجغرافيا وآليَّة تدريسه، بسبب التغيير الجذري الكبير الذي طرأ على طبيعة الجغرافيا في السنوات الأخيرة من حيث الموضوع والهدف والمنهج، وحتى وحدةَ المقياس العلمي المستخدمة في التحليل والتقويم.

تسعى الجغرافيا التربويَّة إلى تنمية القدرات العقليَّة لدى متعلميها وذلك عن طريق تدريبهم على التخيُّل والملاحظة والمشاهدة بصورة منتظمة، كون أنَّ ميدانها هو البيئة بمفهومها الشامل والمحلي والعالمي، وأنَّ علم الملاحظة يعتبر أقرب إلى العلوم الطبيعية والتجريبية التي تُعرف بأنَّها: «المشاهدة الدقيقة والمنظَّمة لظاهرات معيَّنة، من خلال أساليب البحث والدراسة التي تتلاءم مع دارسة الظاهرة الجغرافيا.

إضافة لما سبق تسعى الجغرافيا التربويَّة أيضاً إلى تدريب المتعلمين على المقارنة والتمييز والتحليل والتصنيف والقيام بعمليَّات الربط ما بين الظواهر المختلفة، وصولاً إلى تكوين المتعلِّم نظرة جغرافيَّة عن الموضوع المدروس بشقيِّه الطبيعي والبشري.

وبناءً على ما سبق لم تعد دراسة الجغرافيا تنحصر في إنماء الذاكرة اللفظية فقط لدى المتعلِّمين من خلال حفظ الأرقام الكثيرة وأسماء المدن والأقاليم..... الخ، وإنَّما لا بد من إنماء الذاكرة البصريَّة عن طريق تعلُّمهم للمصطلحات الجغرافيا والصور ومعرفة المواقع الجغرافيَّة من الخرائط والأطالس، ممَّا يجعل ذلك المتعلِّم قادر على تخيُّل مواقع الأماكن والبلدان وغيرها من المظاهر.

أمَّا على المستوى العالمي فتسعى الجغرافيا إلى تنمية التفاهم المُتبادل بين الشعوب، حيثُ تُعتبر من أكثر المقررات الدراسيَّة ملائمة لإبراز التفاهم الدولي لكونها تهتم بالمواطنة والوطنية والمعلومات والحقائق الضرورية للتعرُّف على البلدان الأخرى وفهم شعوبها وحضارتها.

ولكي تحقق الجغرافيا التربوية هدفها لا بد من مبادئ أساسية تُركِّز على جودة في تدريس المقرر تساعد على سير عملية تربوية تعليميَّة صحيحة يصل المتعلم بها إلى الدراسة الجيدة

والفهم الصحيح للجغرافية، حيثُ يجب أن يتميز التدريس الجيد لمقرر الجغرافيا بوضوح أهدافه ومصادره، وأن يشجِّع روح التعاون بين المتعلمين وينمِّي قدراتهم، ويجعل عملية التعلم نشطة تتميَّز بشموليَّة وتنوُّع الأساليب التي تستخدمها، مؤكداً بذات الوقت على ضرورة مواكبة العصر الحديث بتوظيف التكنولوجيا والتقنيَّات التعليميَّة الحديثة في عمليَّة التعلم كاستخدام الحاسب الآلي وشبكة الانترنت وبرامج الجغرافيَّة المتعددة كنظم المعلومات الجغرافيَّة (GIS)، والاستشعار عن بعد وكذلك توظيف أدوات المعرفة الجغرافيا من خرائط وصور فضائيَّة وجويَّة وأشكال بيانيَّة ورسوم توضيحيَّة في تدريس محتوى منهاج الجغرافيا سواء أكان في المدارس للصفوف الانتقاليَّة والأساسيَّة أم في الجمعات، وذلك كون أنَّ توظيف مثل هذه الأدوات والأساليب الحديثة غير التقليديَّة سوف تجعل عمليَّة التدريس أكثر جودة وتطوُّر ومعاصره من جهة، وتزيد من قدرة المتعلم على فهم الظواهر الجغرافيا، وتساعده على التفسير والتحليل والتعليل والربط ما بين الظواهر المختلفة، وبالتالي تُحسِّن من فرصة تعلُّمه وتحقِّق مخرجات تعليمية أكثر فائدة من جهة أخرى[14].

بالرغم من أهميَّة ما تمَّ ذكره سابقاً إلَّا أنَّ منهاج مقرر الجغرافيا في النظام التربوي السوريَّة لا يزال يسرد المعلومات في الكتاب المدرسي بشكلٍ نظري فقط دون التطرُّق إلى تفسيرها وربطها أو تحليلها ممَّا يفقد المقرر الكثير من خصائصه كمادة دراسية حيوية من مواد العلوم الإنسانية النافعة، وبالتالي تعارضه مع طبيعة ومفهوم علم الجغرافيا الحقيقي التطبيقي القائم على التفسير العميق للبيئات المختلفة، وفهم الظواهر الطبيعيَّة والبشريَّة وإبراز العلاقة التفاعليَّة القائمة بينهما، وبالتالي فإنَّ الاتجاه التربوي السوري العام لا يزال يسير نحو استخدام المعلِّمين في المدارس والأساتذة في الجامعات للأساليب التدريسيَّة التقليديَّة المعتمدة على تلقين المعلومة للمُتعلِّم بشكل

(14) مصلح، نسيم نصر، تقويم منهاج الجغرافيا في المرحلة الأساسية العليا في ضوء بعض الاتجاهات العالمية، كليَّة التربية – الجامعة الإسلاميَّة، غزة، ٢٠١٠م، ص٣٦ -٣٧، بتصرُّف.

نظري، من دون وجود أي تطبيق عملي للمقرر المعطى، وذلك نتيجة لأسباب عدَّة من أهمها:

1. عدم معرفة وقدرة بعض المعلمين على استخدام الوسائل التقنيَّة الحديثة في العمليَّة التعليميَّة بسبب عدم تدربهم وتأهلهم على استخدامها والتعامل معها، أو عدم قبولهم لدخول مثل هذه الوسائل في العمليَّة التعليميَّة والتعامل معها.
2. ما يعانيه بعض المعلمين من وجود مقرر ضخم للمادة الدراسية يحتاج إلى الكثير من الإعداد المسبق له بالوسائل التقنيَّة الحديثة.
3. ضعف قدرة بعض المعلمين على السيطرة، وضبط النظام عند استخدام التقنيات التعليمية.
4. إنَّ إدراج التقنيَّات والوسائل التعليميَّة الحديثة في المدارس والجامعات تحتاج إلى توفر مختبرات أو قاعات مجهزة لاستخدامها، وكذلك ضرورة وجود مختص بها لتقديم المساعدة عند الحاجة، وهذا ما تفتقر إليه المؤسسات التعليميَّة السورية (المدارس – الجامعات).